11me Année No. 526
Lundi - 2 - 8 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٢٦ «القاهرة في يوم الإثنين أول شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢ أغسطس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهــرس

٦٠٥٢١

وزارة الأوقاف الجديدة

أقول « الجديدة » وأنا أعلم أن بين هذه الصفة وبين وزارة الأوقاف نفوراً لا يزول إلا بمعجزة ! فهل تمّت المعجزة ؟ أم لا تزال الوزارة القديمة قائمة في مكانها الأثري كالدير العتيق أو كالطلل الوحش تروع النفس القوية بمسالكها الضيقة المظلمة، ومكاتبها الصامتة الرهيبة، وأضابيرها المكتظة البالية، فكأنما يجول الزائر فيها بين أجداث وأضرحة !

وليست الأضرحة بالكلمة الغريبة عن لغة الأوقاف؛ فهناك الوقفيات بشروطها العجيبة، والتصرفات بوجوهها المريبة، والأنظمة التي تعقّد البسيط وتُعوّق السريع وتُصعّب السهل ! وهنالك القضايا التي تماطل الحق، والشكاوى التي تنتظر العدالة، والحقوق التي تنكر المستحقين؛ وكلها راقدة في نواويسها الكرتونية رقود البِلى لا تسمع دعاء الناس ولا تحس مرور الزمن !

نعم لا تزال الأوقاف القديمة تمثالاً للصدقات الجاريات والصالحات الباقيات والبر بأسمى معانيه؛ ولكن التمثال على كل حال تمثال. كل ما فيه معانٍ من الخير تنبِضُ من جسد أصم. أما وزارة الأوقاف الجديدة أو المرجوة فهي في درج الوزير المصلح عبد الحميد عبد الحق؛ وأما المعجزة التي ستؤلف بين الجدة والأوقاف فهي عزيمة الشاب العامل عبد الحميد عبد الحق !

والرجل الذى استطاع أن يجعل من العدم وجوداً فى وزارة الشؤون ، يستطيع أن يجعل من الفساد صلاحاً فى وزارة الأوقاف . على أن الذين يعرفون فى الأوقاف تلك الصخور التى أدمت أيدى المصلحين وفلّت معاول الإصلاح يقولون إن العمل هنا يختلف عن العمل هناك . كانت وزارة الشؤون أحاديث مُنى وأساليب بلاغة ، فجعلها بثاقب رأيه وصادق عزمه حركة تجديد ونهضة إصلاح . والبناء على الجَدَد أسرع من البناء على الأنقاض ، والتعمير الحر أسهل من الترميم المقيد . أما الأوقاف فهي أحد القروح الثلاثة التى أعضلت الأساة وظلت الدهر الطويل تمج الصديد وتوهم الجهلاء أنه من الدين . ولكن المحاكم الشرعية بسبيل النهوض ، والأزهر الشريف بسبيل اليقظة ، فلم يبق غير هذا القرح مضموم الفم على فساد وتقيّل . ولقد بلغ من سوء القيام على شؤون الأوقاف أنك لا تكاد تجد فى مصر كلها بائساً فى بيت كريم إلا من مستحقى الأوقاف ، ولا خربة فى مكان (مُقَفع) إلا من أملاك الأوقاف . وكان السفهاء من الأجانب يرجعون عيوب هذه المؤسسات الثلاث إلى طبيعة الإسلام وهو الذى نشر العلم ورقّاه ، ومدّن العالم وحرّره . ومن هنا عُنى أولياء الأمر فى الدين والدنيا بالنظر فى إصلاحها على هدى المدنية الحديثة لتنسق مع الأداة المصرية الأوربية فى الإدارة والتعليم والحكم . فدُرست العلل ، وكُتبت التقارير ، ووُضعت الخطط ، وجاء دور التنفيذ فجاء معه الهوى المستبد ، والطمع المتهالك ، والجهل المتنطع ، والتردد الخوار ، والمصانعة الحقيرة ؛ فانهزمت فكرة الإصلاح وعادت كما بدأت أحاديث فى المجالس ، ومقالات فى الصحف ، وتقارير فى الأدراج ! فماذا عسى أن يصنع هذا الوزير الفعّال وإن أول ما عليه أن يهدم التصدع ويقطع المؤوف ، وربما اتسع الأمر على معوله ومبضعه فيستنفدان جهده ويستغرقان عهده . والهدم والقطع من وسائل الإصلاح لا من غاياته . على أنى شديد الثقة بكفاية هذا الرجل وإن كان الأمر كما ترى بلاء العقول الجبارة ومحنة النفوس الكبيرة . وفى يقينى أنه سيعمل لأنه يريد . وإرادته فى الأوقاف مطلقة على خلاف ما كانت فى (الشؤون) . وإن ما كان قد وجه إليه عزيمته من تحقيق الصلاح الاجتماعى بمجاهدة الجهل والفقر والمرض ، يستطيع أن يصل إليه من طريق الأوقاف ؛ لأن الأوقاف إنما حبسها المحسنون على كفاح هذه البلايا الثلاث . ولو اجتمع لهذه الأحباس التى تربى على مائتى ألف فدان وسبعة وثلاثين ألف عقار ، الرأسُ المدبر والعين الكلوء واليد المصرِّفة والضمير العف ، لهونت على المكدودين متاعب الحياة ، وسهلت على المنكودين مصاعب العيش . ولكن هذه الينابيع الفياضة بخير الله قد ردها وا أسفاه ! الإهمال والإخلال والعبث إلى أوشال من الرزق لا تكاد تفى بنفقات الإدارة وتكاليف الوزارة !

* * *

وزير الأوقاف القائم على شؤونها اليوم حقيق أن يكذب ظنون المتشائمين فى إصلاح هذه الوزارة . وإن فى ابتدائه بتنظيم الإدارة وإحياء الثقة واستثمار المتروك وتبسيط الإجراء وتعجيل التنفيذ لدليلاً على توخيه النجاح من أقرب طرقه . ولعل الأستاذ الوزير أول من أعلن أن لوزارة الأوقاف رسالة . ورسالتها كما جاء فى حديثه لممثلى الصحف أن تسير على هدى الروح التى تتجلى فى المدنية الإسلامية : مدنية العلم والخلق والتعاون ، فتهيئ للمساجد — وهى التى كانت فى صدر الإسلام مصدراً لكل ذلك — الوسائلَ الصحية والدينية والعلمية ، ليكون كل مسجد من مساجد الوزارة ، فى كل قرية من قرى مصر ، مؤسسة ثقافية تدبر الأبدان بالطب ، وتثقف الأذهان بالعلم ، وتطهر النفوس بالدين ، وتوثق الأواصر بين الناس بالمودة والمعونة . ووسيلتها رفع مكانة العاملين بالمساجد ليستطيعوا أداء هذه الرسالة ، وإنشاء قسم « الخدمة الاجتماعية بالمساجد » ليمهد لتنفيذ هذه السياسة . وسيجد الوزير العامل مع تراخى الزمن وتوفر المال أغراضاً شتى لرسالة الوزارة تجدد بعض ما درس من رسالة الإسلام . وسيجعل (رجلُ الشؤون الاجتماعية) من الأوقاف بيتَ مالٍ لله يكون مثابةً للفقير ومَصحّةً للمريض ومدرسة للجاهل . وإن فى شتى الأغراض الخيرية التى قصدها الواقفون البررة متّسعاً لآمال الوزير . وإن فى ريع خمسين مليوناً من الجنيهات الموقوفة متّسعاً لأعمال البر . ولقد كتبنا من قبلُ فى وزارة الأوقاف القديمة ما أملاه الألم والشكوى ، فعسى أن نكتب فى وزارة الأوقاف الجديدة ما يمليه الأمل والثقة !

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

تحول جديد فى الجو المصرى — بين الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا

تحول جديد فى الجو المصرى

أخذ الجو يتحول فى الأعوام الأخيرة بأسلوب لم نعهده من قبل ، فقد صار شتاء مصر عنيفاً جداً ، وصار صيفها أعنف ، وأصبحنا نتذوق الطعوم المختلفة للحياة الجوية على نحو ما كان يتذوق الآباء والأجداد قبل أجيال

والمنتظَر أن يكون لهذا التحول الجديد في الجو المصرى تأثيرٌ يزيد فى قوة الحيوية وقوة الشعور بالوجود، فقد كاد اعتدال الجو فى مصر يخلق ألواناً من البلادة ، وكاد يضعف الإحساس بتغيّر الفصول

والمنتظر أيضاً أن يكون لهذا التحول فضلٌ فى التشويق لمعرفة الأجواء المختلفة بالديار المصرية ، فسيصير من المألوف أن تكون لنا مواسم فى الجنوب أيام الشتاء ، كما صارت لنا مواسم فى الشمال أيام الصيف ، وسيكون من الحتم أن نعرف الأقصر وأسوان كما نعرف الإسكندرية ودمياط

والواقع أن إقبال المصريين على مصايفهم الجميلة ليس إلا وثبة جديدة فى تذوق الحياة ، فما أعرف أن فى الدنيا مصيفاً يُشبه مصيف الأسكندرية ، ولا أعرف أن فى الدنيا بقعة يتجمهر فيها الجمال كما يتجمهر فى ذلك المصيف . والذى يقدر على قضاء أيام بالإسكندرية أو بور سعيد أو دمياط ثم يبخل على نفسه بذلك النعيم فهو من أعيان السفهاء !

صار الاصطياف بحمد الله من صميم التقاليد المصرية ، وصار من منهاج الحياة فى مصر أن يدّخر الناس ما يعين على الاصطياف ، ولم تعد الشواطىء مقصورة على من يعرف فضلها من الأجانب ، فقد أضحت ملاعب مصرية تحت سيطرة الشبان المصريين ، وصار من السهل أن ترى من كبار الرجال من يرتاد تلك الملاعب فى الضحى والأصيل

هل شهدتم ملاعب التّنس فوق الشواطىء ؟

إنها مواكب من الحياة البهيجة تهادَى فى كل صيف ، وتشهد بأن مصر مُقبلة على فُتوّة مَرِحة سيزدهر بها الشعر والخيال

فى هذه اللحظة صلصل الهتّاف من الأسكندرية يحمل صوت الأستاذ محمد على حماد محرر مجلة الشعلة ، وهو يستعجل مقالاً وعدتُه به عن الديوان الجديد للشاعر على محمود طه فابتسمت وقلت : وحىُ الشاطىء هو الذى أثار العطف على الملاح التائه ، لَطَف الله به وهَداه إلى شاطىء الأمان !

إن مصر ديارٌ بحرية ، ديارٌ تحيط بها البحار من أكثر الجوانب ، وتجرى بها الأنهار فى كل جانب ، ومع هذا تقلّ فيها الآداب البحرية والنهرية ، فما هذا الجمود !

إن أسلافنا عاشوا بأفضل مما نعيش ، فقد كانت فى مدينة القاهرة مَشابه من مدينة البندقية ، يوم كانت القاهرة تتماوج بين الُخلجان ، ويوم كانت الملاهي بتلك الُخلجان فى أصائل الُجمَع والآحاد تزعج رجال الدين فيُفتون بأن النزهة فى السفائن حرامٌ لا حلال !

كانت حياة أسلافنا شعراً فى شعر ، وكان للنيل فى حياتهم وجود ، ألم تسمعوا أنهم أحاطوه بطرائف من الأقاصيص ؟

ومع هذا رأينا من يقول بأن « عروس النيل » أسطورة خلقها العرب لا الفراعين ، وحجتُهم أنها لم توجد فى غير الكتب العربية . فإن صح ما قالوه فالعرب أبلغ فى الشعر والذوق ، لأنهم تخيلوا النيل فتى لا يعيش بلا عروس ، وتلك وثبة من وثبات الخيال .

فى القاهرة حىٌّ اسمه « بركة الرطلى » ، فما تلك البركة فى التاريخ ؟

نقل الدكتور عبد الوهاب عزام فى « مجالس السلطان الغورى » أن وصلها بالخليج الحاكى فى أيام الفيضان كان يوجب إعداد عُرس تُزَفّ فيه نساء جميلات ، وأن السلطان الغورى قد استفتى الشيخ البلقينى فأفتى بأنها بدعة ، وكل بدعة ضلال[1]

ألا تكون عروس البركة صورة جديدة من عروس النيل ؟

والشيخ البلقينى كان من ظرفاء المشايخ ، وهو الذى قال

(١) الخليج الحاكى هو الخليج المصرى ، والتسمية الثانية جديدة

بأن الميت يُسأل فى القبر باللغة السريانية لا العربية ، وفى هـذا قال أحد الناظمين :

ومن عجيب ما ترى العينان أن سؤال القبر بالسُّرياني
أفتى بهذا شيخُنا البُلقَينى ولم أرهُ لغيرهِ بعَينى

وقبر البلقينى معروف بالقاهرة ، وهو قريب من قبر الشعرانى ، عليهما أطيب الرحمات !

قال الأستاذ حماد وقد راعه أن يعرف أنى أكتب مقالاً فى ظهيرة هذا اليوم القائظ : فى مثل هذه اللحظة تكتب ؟

فقلت لأنها أنسب اللحظات لموضوع هذا الحديث ، فما كان أدبى إلا صورة من شعورى بالوجود

قال : متى تزورنا فى الإسكندرية ؟

قلت : أنا أقضى فى الإسكندرية عشرة أيام من كل أسبوع

قال : ولا نراك ؟

قلت : وهل أزور الإسكندرية لأراك ؟

فى الإسكندرية ذخائر وجدانية يعرفها من يمشى على قدميه من محطة الرمل إلى المحطة الفلانية ، وفى صحبته الروح التى أوحت رسالة « غناء وغناء » ، وهل كانت « جنِّية الشاطىء » إلا مصدر نعيمى وعذابى ؟

روّاد الإسكندرية غرباء ولست فيها بالغريب ، فلى هنالك تلك الروح

ومن بيّنات الحب أنْ كان أهلُها
أعزّ على قلبى وعينىّ من أهلى

روّاد الإسكندرية غرباء ، أما أنا فاسكندرية دارى ، بفضل تلك الروح

أيجوز الارتياب فى القوة الربانية ، ومن إبداعها ذلك التمثال من الجمال ؟

تبارك مَن هـذا فنّه فى تحويل الأنوار إلى شخوص تصافحها القلوب !

إن إبداع الشمس والقمر والنجوم لا يدل على قدرة الله بأقوى مما يدل عليها إبداعه الفائق لتلك الروح ، بذلك اللطف الوهّاج

هى آية من آيات الله ، آيةٌ أعظم من البحر ومن السماء ، وأنضر من جميع ما فى الوجود

أيكون الله أراد أن يجزينى جميلاً بجميل ؟

أيكون الله أراد أن يجمل ثوابى فى الثناء عليه بخلق تلك الشواطئ الملاح ثواباً روحيًّا يمثّله تفردى بالسيطرة على ذلك الروح المليح ؟

مَن كان له فى الأسكندرية رمال وأمواج ، فلى فيها أرواح وأضواء

فى هالة ذلك القمر أجد مؤلفاتى ومقالاتى وأشعارى ، وأجد حول كل سطر شروحاً تفضح المكنون من أسرارى ، وأجد حول كل حرف نيرانا أرّثتها أشواق ، فأومن بأن لله فضلاً عظيما فى وصل روحى بتلك الروح

كان من حظ الشعر أن يكون لى فى الأسكندرية مكان ، وأين الشاعر الذى يستطيع الإجادة وهو لم ير الأسكندرية فى الصيف ؟

يا مدينة أحلامى ويادار هواى ، متى نلتقى ؟

وهل افترقنا حتى نفكر فى التلاقى ؟

وهل فارقتنى تلك الروح حتى أفكر فى اللقاء ؟

هى فى رحابى ولو مضيت لاستكشاف أقطار السماء

روح الشيخ رشيد

حوّل إلىّ سعادة الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق خطاباً وصل إليه من السيد عبد الرحمن عاصم بطرابلس الشام . وصاحب الخطاب يعترض على ما نشرناه من حديث دار بينى وبين الشيخ مصطفى حول تأثر الشيخ رشيد رضا بروح الشيخ محمد عبده ، وحول الدقة فى ترجمة الأستاذ الإمام ، رحمه الله

وأقول إن ما نقلته من حديث الشيخ مصطفى راعيت فيه الأمانة العلمية ، فلم أضف إليه أىّ حرف ، ولم أشُبْه بأى عدوان ، لأنى أعرف فضل السيد رشيد فى إحياء مآثر الشيخ محمد عبده ، ولأن هذا الرجل كان من أعزّ أصدقائى

إن لهذه المسألة وضعاً آخر ، وهو تحرى الصدق فى تقدير الرجال ، وما كان يجوز أن أطوى حديثاً للشيخ مصطفى يزن به الصلة بين روح الشيخ عبده وروح الشيخ رشيد ، مع العلم بأن الشيخ مصطفى حجة فى وزن هذين الرجلين ، لأنه تلميذ الأول

وزميل الثانى ، ولأنه معروف بكراهة التزيد على الناس

والذى عرفته وتحققته أن روح الشيخ رشيد شابته شوائب من العنف ، شوائب خلقها اتصاله بالمجتمع فى نواحيه الصواخب ، فلم تكن عنده تلك البشاشة الروحية التى اتصف بها الأستاذ الإمام فى جميع العهود

وإليكم النادرة الآتية :

قبل أن أكتب هـذه الكلمة رأيت أن أحادث جماعة من محبى الشيخ رشيد ، عسانى أعرف من أحواله فى التسامح الدينى ما لم أكن أعرف ، وكانت النتيجة أن يقول فلان وهو رجل حصيف : كيف يجوز لسعادة مصطفى باشا أن يرتاب فى تسامح الشيخ رشيد مع أن له حكاية تنقض ذلك الارتياب ؟

فما تلك الحكاية ؟

قال الأستاذ أسعد داغر للشيخ رشيد : أنا نصرانىٌّ يحترم الفضائل الإنسانية ويرى أن محمداً آية فى الكرامة الأخلاقية ، فكيف يجوز أن تُغلَق أبواب الجنة فى وجهى ؟

فأجاب السيد رشيد : ستدخل الجنة يا أسعد قبل كثير من فقهائنا

ذلك هو تسامح الشيخ رشيد فى نظر ذلك الرجل الحصيف .

وأنا أرى فى هذا التسامح دليلاً على التحامل ، التحامل على الفقهاء ، وكانت بينهم وبين صاحب المنار ضغائن وحُقود

ولأجل أن نفهم هذه الحقيقة يجب أن نرجع إلى مقالين فى رثاء الشاعر عبد المحسن الكاظمى ، المقال الأول فى مجلة « الرسالة » بقلم الشيخ عبد القادر المغربى ، والمقال الثانى فى مجلة المنار بقلم صاحبه السيد رشيد

فى المقال الأول عطفٌ ورفق ، وفى المقال الثانى قسوةٌ وعنف ، فقد قال الشيخ رشيد فى الكاظمى كلمات لا تليق ، وسلّطه بقلم دونه بأس الحديد

أكانت إهانة الكاظمى بتلك الصورة فرضاً يوجبه التاريخ ؟

وما الذى يعكّر التاريخ الأدبى لو بقى الكاظمى كما صوره الشيخ عبد القادر المغربى ؟

الأمر كله يرجع إلى أن الشيخ رشيد عانى متاعب من معاصريه ، متاعب ثقيلة جداً ، فقد كان الناس يستكثرون عليه أن يتفرد بإعلان مآثر الشيخ محمد عبده والإفصاح عن آرائه الدينية والاجتماعية ، وكانوا يرون ظالمين أن الأمر لا يعدو المهارة فى الاستغلال

من خطاب السيد عبد الرحمن عاصم عرفت أن فضيلة الشيخ محمد شاكر كتب إلى الشيخ محمد عبده يدعوه إلى كف يده عن رعاية الشيخ رشيد ، وأن الأستاذ الإمام أجاب :

« كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عنى وهو ترجمان أفكارى ؟ »

وأنا أعرف الشيخ محمد شاكر جيداً ، فقد كان على جانب من العنف ، وكانت عداوته مُرة المذاق ، وكان يحارب خصومه فى الرأى محاربة المستميت ، فمن المؤكد أن خصومته تركت فى نفس الشيخ رشيد عقابيل

أما جواب محمد عبده فهو جواب محمد عبده ، جواب فلاّح مصرىّ شريف يؤازر أنصاره ولو تألبت عليهم الأرض والسماء

مضيتُ عصرَ يوم لتنسُّم الهواء بحديقة الجزيرة فوجدت الشيخ عبد الرحمن قراعة هناك ، وكانت الشيخوخة لا ترحم يديه من الارتعاش ، فدار بينى وبينه حديث وأحاديث ، وجاءت قصة الشيخ محمد عبده فقال :

— هل تعرف أن الشيخ عبده لم يُعِزّ أحداً كما أعزّنى ؟

— وكيف ؟

— لأنى زرته أيام اعتقاله بعد انهزام الثورة العرابية

— ولتلك الزيارة هذه القيمة ؟

— أنا وجهت إليه هذا السؤال فكان جوابه أن هذه التفاتة لا ينساها كرام الرجال

ماذا أُريد أن أقول ؟

زيارة عابرة للشيخ محمد عبده فى معتقَله تُقرِّر فى نفسه هذا الحق ، فكيف يكون نصيب الشيخ رشيد من نفسه وهو رفع العَلَم لآرائه فى كل مكان ؟

أترك هذا وأذكر أن قول الشيخ مصطفى بأن تاريخ الشيخ عبده لم يدوَّن على الوجه الصحيح ليس معناه اتهام الشيخ رشيد ، ولكن معناه أن تاريخ الشيخ عبده رُوعيَتْ فى تدوينه أشياء من الاعتبارات السياسية ، وهى اعتبارات يراعيها أكثر الباحثين فى التاريخ الحديث ، وعلى الأستاذ مصطفى باشا أن يحررها بقلمه إن تناسى أنه من السياسيين !

أما قول السيد عاصم بأن السيد رشيد لم يجد مَن يترجم له بعد أن يموت فجوابه حاضر : ذلك بأن الشيخ رشيد رضا ترجم لنفسه بنفسه ، ولم يمت إلا بعد أن إن كتب سطور حياته فى صفحات الخلود .

زكى مبارك

٣ – المسرح المصرى
لغته وما ذا تكون ؟
للأســتاذ دريني خشبة

الذين يزعمون أن اللغة العربية هى لغة أجنبية عن هذه البلاد هم قوم متعصبون يتجنون على الحقيقة كما يتجنون على أنفسهم، ويسيئون إلى الحقيقة بقدر ما يسيئون إلى بلادهم... فلقد أثبتت اللغة العربية حيويتها وصلاحيتها لسكان وادى النيل فلم يمض قرن أو قرنان بعد فتح العرب مصر حتى كان المصريون جميعاً ... بما فيهم سكان الأديرة والواحات ، يتكلمون اللغة العربية ويعجبون بطواعيتها ، وقيامها بأغراض حياتهم قياماً كاملاً غير منقوص ، فأنسوا لغتهم الأصلية وآثروا عليها تلك اللغة اللينة السهلة التى مرنت بهـا ألسنتهم فى غير مشقة ، وأسلست لهم فى غير عسر ... ولتكن أسباب انتشار العربية فى مصر ما تكون ، فما لا جدال فيه أن المصريين لم يرغموا على التكلم بها وأنهم لم يتعاظمهم أن يهجروا لغتهم إلى لغة الغزاة الفاتحين برغم ما فى هذا الترك من مرارة على أنفسهم ، وبالرغم مما فى تعلم لغة جديدة من عنت وإرهاق

إن انتقال أمة بأكلها ، بل أمم كثيرة ، من لغة إلى لغة هو ضرب من السحر لا يفسره إلا امتياز اللغة الجديدة وتفردها بفضائل ليست للغة القديمة . وإذا احتج أحد بالعامل الدينى لم يستطع تعليل إبقاء الملايين من مسلمى الهند والترك وغيرهم على لغاتهم ، ثم لم يستطع تعليل فناء اللغات القديمة فى العربية التى جذبت إليها الأقليات الدينية فعربوا كتبهم المقدسة وأغفلوا اللغات الأصلية التى كتبت بها مع ما يكنونه لأصول هذه الكتب من إعزاز وتقديس

هذه مقدمة أوشكت أن تغرينا بكسر الكلام على اللغة العربية وصرف النظر عن المسرح ... على أننا نعود فنتساءل : هل تصلح العربية أن تكون لغة للمسرح المصرى ... ولست أدرى لماذا لا نتساءل : هل تصلح اللغة العامية أن تكون لغة هذا المسرح ؟

أما السؤال الأول فله أعداء كثيرون قامت عداوتهم على روح شعوبية منكرة ، كما قامت على كراهية للغة العربية التى هم ضعفاء فيها أغلب الأمر ، والتى لا علم لهم بأسرارها ولا ذوق أصيل يغريهم بطلاوتها وحلاوتها ، وكل أولئك الأعداء هم ممن شدوا لغة أجنبية فثقفوها وبرعوا فيها قبل أن يتاح لهم نصيب موفور من اللغة العربية . ومنشأ ذلك فساد نظام التعليم فى مصر ... ذلك النظام الذى أوهى من دعائم قوميتنا — ورمزها الأول اللغة — كما أوهى من عصبيتنا لكل ما هو مصرى ... فإن مصر توشك أن تكون الدولة الوحيدة — وربما يشبهها فى ذلك الشام — التى تسمح لعدد ضخم من أبنائها ممن يتعلمون بالمدارس الأجنبية أن يتعلموا جميع المواد التى تدرس فى هذه المعاهد بلغة غير لغة البلاد ... فالحساب والجغرافيا والتاريخ والعلوم والرسم والهندسة والأشغال وما إلى ذلك يدرس كله بلغة أجنبية وبواسطة معلمين من الأجانب ... وهكذا يفقد هذا العدد الجم من أبنائنا مصريتهم ، وينسون لغتهم ، لأنهم يذهبون إلى تلك المدارس وهم صغار لم يعدوا الرابعة أو الخامسة من عمرهم ، أى فى السن التى يصلحون فيها للتكييف حسبما تشاء المدرسة وعلى الصورة التى تهوى سياستها وسبب إنشائها ... ولقد آن أن نفهم أن الاستمرار فى السماح لتلك المدارس بأن يظل منهاج الدراسة بها على هذا النحو هو أشنع ضرب من ضروب الخيانة الوطنية . ولا يقل عنه سماحنا لأبنائنا بالذهاب إلى تلك المدارس ... وهو هذا الجزء البغيض من تلك الخيانة الذى نصنعه بأيدينا . على أن الآباء الذين يدفعون بأبنائهم إلى تلك المدارس يدفعون اعتراض كل معترض بحجج لها وجاهتها أحياناً ... ولسنا نرى ما ذا يمنع وزارة المعارف من تدارك أوجه النقص التى تعتور نظام التعليم فى مدارسها حتى لا تنهض لأولئك الآباء حجة فى العدول بأبنائهم عن مدارسها ؟ على أن التفات المدارس الأجنبية إلى تعليم البنات وتطبيعهن على الطابع الأجنبى كان خليقاً أن يفتح أعين وزارة المعارف فتقاومه بفتح المدارس المصرية الراقية فى كل مدينة بها مدرسة أجنبية تنشاها الفتاة المصرية التى لا تجد مدرسة أخرى فى بلدتها لتتعلم بها ... والحق أنه لم يعد معنى مطلقاً أن توجه الدولة ٩٥ ٪ من اهتمامها إلى تعليم الذكور ، ولا توجه إلى ما تبقى من تلك النسبة المئوية التافهة لتعليم الإناث . وسنظل فقراء فى قوميتنا ، مدخولين فى مصريتنا ، بائسين فى لغتنا ، ما دامت الدولة تقصر هذا التقصير الشنيع

فى تعليم الفتاة المصرية ، صارفة معظم عنايتها إلى تعليم الذكور دون الأناث ، مع علمها بأن البنت هى التى تصنع الأمة ، وأن نصيبها فى ذلك هو أضعاف نصيب الذكر .

ونحن إنما نسوق هذا الكلام فى معرض الحديث عن لغة المسرح لما له من الصلة الوثيقة به . . . لأننا نتكلم باللغة العامية ونتعامل بها فى حين أننا نقرأ الكتب والصحف ونصغى إلى الراديو والخطب الضافية في المساجد والكنائس ، والمحاضرات الضافية فى النوادى ودور العلم ... ثم نحن نكتب فى مدارسنا وفى معاملاتنا ومراسلاتنا باللغة العربية الفصحى ، أو ما يقرب من اللغة العربية الفصحى ... وفى مصر اليوم أكثر من ثلثمائة جريدة ومجلة تصدر يومياً أو أسبوعياً أو كل شهر وكلها مدبجة بهذه اللغة العربية الفصحى ... ومن هذه الجرائد ما كان يصدر يومياً فى ست عشرة صفحة وفى ثمانى وأربعين صفحة محررة باللغة العربية الفصحى وندر ما كان يعثر القارئ فيها جميعاً بغلطة فى اللغة ... ومن مجلاتنا عدد لا بأس به يعنى بالأسلوب فلا يسمح بركاكة أو لحن أو إسفاف أو دنو من العامية حتى فى أبسط ألفاظها . . . فهل قال أحد إن أى مستمع من عامة الشعب ممن لا يتكلمون العربية الفصحى وممن لا يخطر لهم استعمالها على بال ، لا يفهم ما يصغى إليه من موضوعات تلك المجلات وتلك الصحف وما يستمع إليه فى خطب المساجد وعظات الكنائس ومحاضرات الوعاظ العامة وإرشادات الإذاعة وأغانيها المنظومة بالعربية من قصائد وموشحات ؟

الحق أن عامة المصريين ، بل عامة الأمم العربية ، تجيد فهم الأساليب العربية وتسيغها ... ولو لم تكن هذه العامة متعلمة ، ولو لم يكن لها بصر بطبيعة تراكيب تلك الأساليب ... وما دامت هذه العامة تفهم تلك الأساليب ولا تضيق بها ، بل هى تلتذها أحياناً وترددها فى أغانى كبار المطربين وفى أحاديث الرسول الكريم التى تحفظها عن ظهر قلب ، وفى آيات القرآن التى ترددها وتمزج بها حياتها فى صلواتها وأدعيتها ، وفى آيات الكتب المقدسة الأخرى . . . فليس من العسير أن تحاول الدولة التمهيد لإحلال العربية الفصحى محل هذه اللهجات الدارجة المتعددة ، وذلك بتعليم الفتاة المصرية وتنشئتها فى بيئة مدرسية عربية لا يؤذن فيها بتعلم لغة أجنبية حتى تبلغ الفتاة الثانية عشرة على الأقل ، وحتى تكون قد أنضجت فيها قوميتها المصرية التى تعتبر اللغة العربية أكرم مقوماتها . . . ونحن نلاحظ أن الطبقات المتعلمة فى مصر وفى الشرق العربى عامة ، أقل استعمالاً للهجات الدارجة من سائر طبقات الشعب غير المتعلمة . . . فمعظم طبقات المتعلمين فى مصر وفى الشام وفى العراق يداولون أحاديثهم بينهم باللغة العربية ، أو ما يقرب أن تكون لغة عربية خالصة ، اللهم إلا ما تقضى به العادة من استعمال العامية فى مجرى الحديث فى غير وعى ... فالتعليم إذن هو الوسيلة الوحيدة لإحلال العربية الفصحى محل العامية الدارجة . . . أما عنايتنا بتعليم الفتاة خاصة فذاك أنها هى التى تتولى تربيب أطفالنا فى سنيهم الأولى ، فهى كفيلة إذن أن تصقل ألسنتهم ، وأن تفهم عن المدرسة ما تهدف إليه من مطامح وأغراض ، فهى على مساعدتها أقدر من الأم الجاهلة المغرقة فى الأمية ، ومن الأم التى تعلمت فى مدرسة مصرية عرجاء ، أو فى مدرسة أجنبية تعنى أول ما تعنى بمحاربة القومية المصرية فى كل مشخصاتها وأهم تلك المشخصات اللغة التى لا تستحى بعض طبقاتنا الراقية ممن تعلموا — أو تعلمن — فى مدارس أجنبية من هجرها واحتقارها ومداولة الحديث بلغة أجنبية حيث لا يكون فى المجلس أجنبى واحد ... هذه كارثة اجتماعية ينبغى أن تعالجها الدولة بما يجب لها من جهد ... وليس على الأرض قاطبة لغة أشرف من لغتنا لو وجدت من يخدمها فى إخلاص ونصح . . .

وإلى أن يتم هذا الإصلاح ، وإلى أن تلتفت الدولة إلى خدمة اللغة العربية على النحو الذى تراه ، لا نرى مندوحة من الصراحة فى القول ونحن نتحدث عن لغة المسرح المصرى وما ينبغى لها أن تكون فى الوقت الحاضر ، من أن نوصى باللغة العامية خيراً فى هذا الحديث . . . فللغة العامية محاسنها التى لا تنكر ، ومن هذه المحاسن ما تتفرد به ، وما لا يؤديه شىء فى العربية الفصحى إلا حينما تفشو ، هذه العربية الفصحى ، بين الناس بحيث تختلط بدمائهم وألسنتهم كما تختلط العامية الآن ... وليس الخير الذى نريد أن نوصى به للغة العامية هو الخير المطلق الذى يجعلها لغة المسرح عندنا ... كلا ... وإلا كنا ندعو إلى شر لا إلى خير ، وإلى نكسة لا إلى نهضة ، فليست لغة غير اللغة العربية تصلح للمسرح المصرى خصوصاً فى الروايات المترجمة التى كان يقبل الجمهور عليها إقبالاً شديداً فى فجر نهضتنا المسرحية التى كان يضطلع بها الشيخ سلامة حجازى وجورج أبيض وعبد الرحمن

رشدى والشيخ أحمد الشامى وأحمد سماحة ، والتى ازدهرت أيما ازدهار فى السنوات الأولى من حياة مسرح رمسيس قبل الانشقاق المشئوم الذى مزق وحدة الممثلين المصريين البارزين والذى انتهى إلى تلك العواقب المحزنة التى لم يسلم منها إلى اليوم . ولا يفوتنا أن نذكر الفرقة القومية بهذه المناسبة ... فلقد كانت اللغة العربية هى لغتها الرسمية ، وكان يرجى الخير كل الخير من هذه الفرقة العتيدة التى قضت عليها سياسة قصر النظر ... تلك السياسة المرتجلة التى كانت تريد أن تجعل من هذه الفرقة مشروعاً تجارياً فلم تعرف لها حقها الثقافى ، ولم تعرف لأبطالها مقدرتهم على الاضطلاع بالنهضة المسرحية وحسن استعدادهم لأداء مهمتهم فضربت بهم عرض الأفق ، وقبضت عنهم كفها ؛ مما نرجو أن نعرض له عند الكلام عن فرقنا التمثيلية ... ونأمل ألا يغضب كلامنا هذا أحداً من أبطال التمثيل فى مصر ، وألا يترك ثناؤنا على زيد غضاضة فى نفس عمرو ... فقد آن أن يكون عمل الجميع خالصاً لخير المسرح

وقصار النظر هم الذين يزعمون أن تمسك المهيمنين على الفرقة القومية باللغة العربية هو الذى قضى عليها ... بل قضت عليها عوامل أخرى سنعرض لها فى حينها إن شاء الله ... فاللغة العربية يجب أن تكون اللغة السائدة فى جميع الروايات المترجمة . أما الروايات المصرية فمسألة فيها نظر ...

وإليك أيها القارئ بعض الأسئلة التى تتبادر إلى ذهنى وذهنك بهذه المناسبة :

هل يجوز أن يدير المعلم (فلان) الجزار أو البواب أو الخادم أو بائع المقانق (السجق ولا مؤاخذة !) حديثه باللغة العربية فى زماننا الذى نحن فيه ؟

وهل نستطيع أن نخلق جواً كوميديا (هزلياً) باللغة العربية الفصحى دون أن تنتهى جهودنا إلى الغثاثة والسخف ؟

وهل نستطيع الاستغناء فى جميع رواياتنا الكوميدية عن لهجاتنا المضحكة المرحة من (صعيدى وشرقاوى وبربرى وشامى ومغربى ؟)

وهل نستطيع الاستغناء عن أمثالنا العامية الفياضة بالحكمة وعن نكاتنا القومية التى لا يعقل أن ترسل بغير اللغة العامية ؟

وهل نستطيع الاستغناء عن الفوكلور المصرى كله طفرة من غير أن تمنح أنفسنا مهلة ليكون لنا فوكلور آخر لا غنى لحياتنا الأهلية عنه ، إلى أن نستعرب تمام الاستعراب ؟

... ولنسأل أنفسنا هذا السؤال أيضاً :

هل فى أوروبا أمة استغنت تمام الاستغناء عن لغتها الدارجة فى مسرحها المحلى ؟

وأحسب أن الإجابة هى بالنفى القاطع عن كل الاسئلة الأولى ، ولعل السؤال الأخير فقط هو الذى يحتاج لإيضاح ...

ولا مراء فى أن جورج برنرد شو هو أعظم مسرحى عرفه العالم فى العصر الحديث ، وأكثر النقاد على أنه من أعظم مسرحيي التاريخ ، ثم هو رجل تدين له اللغة الإنجليزية بفضل كبير . وهو فى الوقت نفسه من أكبر كتابها حيث لا ينازعه المرتبة الأولى إلا واحد أو اثنان من أساطين كتابها ... وقد استطاع شو أن يجعل للغة الإنجليزية الفصحى معيناً لا ينضب من اللغة العامية ، وهو يعتبر هذه اللغة ضرورة لا غنى عنها للكمال المسرحى خصوصاً لشخصيات الرعاع والغوغاء التى يصرح أنه إن أنطقها بالإنجليزية الفصحى التى لا تعرفها ولم يسبق لها أن لهجت بها فإنه يجافى الواقع وينافر الطبع ويقلق الذوق المسرحى ، ولذلك تراه فى عدد كبير من رواياته ، خصوصاً فى ملاهيه المرحة ، يرسل حديث أحد أبطاله الرئيسيين بالعامية من أول الرواية إلى آخرها ، كما فى ملهاته كانديد Candida[1] حيث لا يتكلم برجس Burgrss إلا بالعامية ؛ وكما فى روايته : Captain Brassbound Conversion[2] (هداية الكبتن براسبوند) ، حيث لا يتكلم البطل درنكووتر Drinkwater إلا العامية كذلك . ولو أردنا ضرب الأمثال من روايات كتاب آخرين يرتفعون إلى مستوى شو لما أعوزنا ذلك . على أن الكاتب الإنجليزى سويفت كان أول من تولاه القلق على ضياع العامية

(١) مجموعة الـ Pleasant Plays

(٢) مجموعة الـ Four Plays for Purtans

الإنجليزية، ولذلك أنشأ مجموعته الفاخرة منها ، والتي تعد اليوم معيناً لا ينضب لإمداد الإنجليزية الفصحى بما تفتقر إليه من ألفاظ قد لا تستطيع نحتها فتفضل استعمال المرادف العامي من أن تأخذ عن اللغات الأجنبية مع أنها لا تأبى أن تصنع ذلك . والحقيقة أننا نغلو غلواً لا معنى له فى استهجان لغتنا العامية واستقباح استعمالها مع أنها كنز لم نعرف قيمته بعد نستطيع أن نسعف منه العربية الفصحى بما لم تسعفه به بداوتها الأولى التى حرمتها من كثير من مقومات الحضارة

وقصارى القول فيما ينبغى أن تكون عليه لغة المسرح المصرى هو وجوب استعمال العربية الفصحى استعمالاً مطلقاً فى الروايات المترجمة ، واستبقاء اللغة العامية لبعض شخصيات الملاهى ليمكن خلق الجو الكوميدى المرح ، كما يجب استبقاء اللهجات العربية الفكهة التى أشرنا إلى بعضها فى مجرى الحديث لتساعد فى خلق هذا الجو ... وإن كان رأينا هو أن تقوم الملهاة على موضوعها لا على نكاتها وشتائمها ولهجاتها كما هو شائع عندنا اليوم .

(يتبع) دريني خشبة

حول الأدب المهموس

غلطة الآلهـــة !

وشتائم الأستاذ مندور

للأستاذ سيد قطب

شاء الأستاذ مندور أن ينقلنا من الجو الأدبى الذى كنا نعيش فيه ، ومن اللغة الأدبية التى كنا نتجادل بها ، إلى جو آخر كريه ، وإلى لغة أخرى هابطة ، يبدو أنه يهرب إليهما كلما أحرج فى جدل أدبى لا يملك أدواته

ولقد تحدث إلىّ بعض الأدباء مستائين لانحدار أسلوب الجدل الأدبى إلى هذا المستوى الهابط ، فأحب أن أعتذر عندهم للأستاذ مندور : الرجل ذو حساسية مريضة فى ناحية خاصة ، ولم أكن فى أول الأمر أعلم موضع هذه الحساسية ، وإن كان حدسى قد هدانى إلى شيء منها وأنا أتتبع ميله إلى « الحنية » فى الأدب ، وطريقته فى المناقشة .

فالأستاذ مندور معذور إذن إذا خرج عن طوقه ، ومعذور إذا لم يملك قلمه عن هذا الانحدار إلى شتائم شخصية لا يعسر على أى مخلوق أن ينحدر إليها ، وإن كان يعسر على بعض المخاليق أن يرتفعوا عنها لسبب من الأسباب

على أن الخرافة اليونانية التى ساقها الأستاذ مندور فى العدد الأخير عن خلق الرجل وخلق المرأة تكفى وحدها لحل عقدة الخلاف بينى وبينه فى فهم الأدب ودراسة الشخصيات . فيبدو أن هؤلاء الآلهة اللاعبين يزيدون فى نسب المزج والتركيب وينقصون فى كثير من الأحوال . ويبدو أن نسبة المزج فى الأستاذ مندور تختلف اختلافاً بيناً عن مثيلتها فى رجال أمثال العقاد وسيد قطب ، فطبيعى إذن أن تختلف الأمزجة والأحكام بنسبة هذا الاختلاف !

والغلطة — كما ترى — ليست غلطة الأستاذ مندور ، . إنما هى غلطة أولئك الآلهة اللاعبين !

* * *

وقد اختار الأستاذ الفاضل فى رده علىّ طريقة « الملاوعة والمكايدة » ، ففهم أنه « يغيظنى » إذا راح يتحدث عنى كتلميذ للعقاد ، ويصغر من شأنى فى أعين القراء . فأحب أن أقول له : إننى لسوء الحظ ـ لا أفهم الأشياء على النحو الذى يفهمه ، لأن الآلهة فيما يبدو لم تودع تركيبى تلك النسبة الكبيرة من الجنس الآخر ! فليس أحب إلىّ من أن أكون تلميذاً ناجحاً فى مدرسة العقاد

وإننى لأؤكد للسيد مندور أن العقاد لو كان بين أساتذته هو أولئك الذين منحوه الدكتوراه أخيراً ، فصيروه دكتوراً (فى الأدب على ما أظن) لكان خيراً مما هو الآن

وفود العرب على كسرى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

وجه إلىَّ أستاذنا الجليل « ن » كلمة طيبة تحت هـذا العنوان بشأن ما نشرته فى « الرسالة » فى موضوع « الخطابة بين الحرب والسياسة »

وما بال السيد الجليل « ن » يخفى عنا اسمه ، وقد دلّت عليه عبارته وأشارت إليه مقالته ، كما يدل فتيق المسك على المسك ، ونضح بالأدب اللباب أناؤه كما ينضح الإناء بما فيه . وقلنا ونحن نقرأ مقاله ونتذوق بيانه : هذه نفحة من شيخ أدباء الجارة الشرقية والشقيقة العربية ؛ طالعنا بها على بُعد أمد ، وطول عهد ، والتزام صمت ؛ فوردت تمازجُ الروحَ لطافة ، وتجرى مع النَّفَس رقة

* * *

يتهمنى الأستاذ الجليل أننى قدَّرت فى نفسى صحة حكاية وفود العرب على كسرى ، وهى تهمـة يشرفنى أن أكون بها مقترفاً ، ولها مكتسباً ؛ فقد أوردت قصة الوفود فى مقام يقتضيها وسياق يستدعيها ، ولم أتعرض لها من حيث صحة الوقوع وصدق الرواية ؛ فذلك لم يكن سبيلى فى المقال ؛ ولكننى سقتها — على علاتها — كما ساقها صاحب العقد الفريد فى أول الجزء الثانى من كتابه .

وكان غايتى من سوْق خُطب الوفود فى مقالى بالرسالة أن أستشهد على حـذق بعض الخطباء وحضور بداهتهم وسرعة خواطرهم فى المقامات الضيقة التى يفرّجونها ببيان ولسان وجدل ، فلم أجد أحسن فى الاستشهاد ولا أطوع فى الانقياد من خطب وفود العرب على كسرى

وابن عبد ربه نفسه الذى نقل أخبار هـذه الوفود يمهد لها فى أول كتاب الجمانة بقوله : « ... فإنها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستهذب الألفاظ ، وتستجزل المعانى . ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوته ينزعون وعن رأيه يصدرون » . وهذا كلام من ابن عبد ربه له خبئٌ ... معناه أنه مُقرٌّ بصحة ما ينقله ، وأن هذه الوفود الوافدة على ملك الفرس لم تكن خبراً مصنوعاً ولا حديثاً موضوعاً . وأن غيرها من أخبار الوفود صحيح فى اعتبار المؤلف ،

بكثير ، ولما وقف تلك الوقفة الغبية البليدة أمام مقطوعة (الكون جميل)

ولاستطاع أن يدرك كما يدرك أصغر تلاميذ العقاد أن الشاعر الكبير حين قال :

قل ولا تحفل بشىء   إنما الكون جميل

كان يستعرض فى لمة من لمات الحس . . . كل ما يعترض الفرد ويعترض الإنسانية من هموم وأشجان فى هذا الكون ، وكل ما ترمى به الحياة من تهم وشكايات ، وكل ما تذخره الدنيا من آلام وأشواك ؛ ويقابل هذا كله بذلك الجمال الكونى الفتان ، فيقولها قولة الصوفى العابد لهذا الجمال :

قل ولا تحفل بشىء   إنما الكون جميل

قلها على الرغم من كل شىء ، فإن للكون شفاعة حاضرة من هذا الجمال ، بل إن الكون لجميل على وجه القصر والتوكيد لا يغض من صنعته هذه شىء من تلك الأشياء

وهذا هو الذى يقف أمامه « الدكتور مندور » يقول فى غير استحياء :

« هذه جملة مبتذلة لأنك تتساءل عن سر هذا القصر وذلك التأكيد فلا تهتدى إلى شىء »

وبعد فلا حديث لى بعد الآن مع ضحية الآلهة اليونان

(حلوان) سيد قطب

وخاصة بعد قوله في التمهيد المشار إليه : « وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى . . . ملك جبار فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقدمه مرة ، ويتحفظ من أمامه أخرى ، أتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقياً غريبة من غرائب الفطنة ؟ »

ويقول الأستاذ الجليل « ن » ناقلاً كلاماً له فى موضوع الوفود على كسرى : « ولن يجوّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفّاج ، ويفرغ لشهود مجرفة التعجرف وعنجهيته » . وأقول إن الأستاذ العربى الجليل قد رمى العرب فى هذه المقالة بما لم يرمهم به أعداؤهم ، فكيف يفوت ذلك على فطنة أستاذنا وهو يعلم أنه إذا رَمَى فسيصيبه سهمه ، وأنه — أعزّه الله وشرّفه — من غزيّةَ ... إن غَوَتْ غوَى . . .
وإن تَرْشُدْ غُزيّةُ يَرْشُدْ ... !

لقد كان النعمان من ملوك الحيرة ، ولهم الملك المؤثل كما كان الغساسنة فى الشام . وهذا كلام لا يغيب عن علم الأستاذ الجليل ولا يندّ عن أبسط معارفه ، كما لا يغيب عنه شعر حسان ابن ثابت — فى الجاهلية — فى مدح الغساسنة ووصف بياض وجوههم ، وكرم أحسابهم ، وشمم أنوفهم ، وأولية طرازهم ... فهل يقل المناذرة عن الغساسنة شيئاً من مكارم العرب واعتدادهم بأنفسهم فى ساعة يحسّون فيها انتقاص منتقص ، أو اعتداء معتد مهما كان شأنه ؟

وما الذى يمنع من وفود النعمان على كسرى وهو تابع له وفى ظل حمايته ؟ لا شىء يمنع عقلاً من حدوث الوفادة . ونحن نرى فى زماننا هذا الأمم المحمية ، يفد مندوبوها على الأمم الحامية القوية ... ويجلسون حول الأنضاد الكبيرة ، والموائد المستديرة !

فهل تعدم هذه الأمم المحمية اليوم رجلاً من أعز رجالاتها ؛ أو بضعة من أصدق ألسنتها يقولون ما يعتقدون ، ويدفعون عن أممهم وأوطانهم بحسن البيان ، ما لا يستطيعون دفعه بالسنان ؟

اللهم إن هذا يحدث اليوم تحت سمعنا وأبصارنا ، والأستاذ « ن » شاهد به غير منكر له ؛ وعنده من شعر صديقه شوقى وحافظ فى هذه الوفود الحديثة والموائد الخُضْر نبأ يقين ...

فلماذا ينكر هذا القلب العربى المتوثب — قلب أستاذنا الجليل ن — على النعمان بن المنذر وأكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة والحارث بن عباد وقيس بن مسعود والحارث بن ظالم وغيرهم من سادات تميم ، وأشراف بكر ، وغطاريف عامر ، وجحاجحة زبيد — كيف ينكر عليهم لأن يقولوا فى سبيل المروءة كلمةً يعتقدون حقيقتها ويؤمنون بصدقها ، إيمانهم بالمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن ألالاً ويتدافعن فى سيرهن ... ؟

يقول الأستاذ الجليل « ن » (كلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس مزور مختلق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجرئوا على مثله)

ونحن نقول إن العربى لا يستجرئ على إعلان حميته وإبائه إلا لما أودع الله فيه من صفات الأنفة العزيزة والكبرياء الرفيعة ؛ حتى ولو كان فى الأطمار والأسمال خاوى البطن عارى الشوى والمنكبين من الطوى ... وهو على عنجهيته ولوثته بصير بمواطن الكلام ، عليم بمرامي السهام ...

وإنى على ما كان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب

وقد انتقى النعمان لوفد كسرى جماعة وزنهم بميزانه ، وأنزلهم أقدارهم التى يعرفها عنهم ؛ وتوسم فيهم — لطول معرفة ، أو حسن سماع ، أو صدق جوار — حسن الجواب ولطف المخرج من مضايق الكلام . ولم يخترهم من أهل الغفلة والبله ، والسرعة والحمق ؛ وتلك حسنة أخرى من حسنات النعمان ، وفضيلة من فضائله ؛ فهو هنا محسن يحسن اختيار الرجال ، ويتنخّل أعضاء الوفود الذين يصح أن توكل إليهم المهمات وتلقى عليهم التبعات ...

إذا كنت فى حاجة مرسلاً فأرســـل حكيماً ولا توصه

وفعلاً وحقاً وصدقاً ، لم يكذب النعمانُ قولَ الشاعر الإسلامي فأرسل مع الوفد حكيماً عربياً عُرِفَ بالقصد فى الكلام واشتهر بالقولة السائرة والحكمة المرسلة ، وهو أكثم بن صيفى ، فلم يَعْدُ أن يكون حكيماً فى مقام المفاخرة . وتلك لطيفة من لطائف وفود العرب على كسرى ؛ فقد كانوا يستطيعون أن يكونوا كلهم أبواقاً — أو بوقات — يضربون على فضائلهم ، ويغنون على « ليلياتهم » ... ولكنهم قسّموا العمل ، ووزعوا الخطة وأحكموا الطريقة فى هذا المؤتمر الذى يشبه مؤتمر « كذا » فى بلاد « كذا » فى عصرنا الحديث ...

فأكثم بن صيفى حكيم ينطق بقدر ، ويزن الكلام إذا

نطق ، فليس ثرثارة يخطب ، ولا مهذاراً يكثر ؛ بل يرسل الحكمة تلو الحكمة ، والكلمة الصادقة أثر الكلمة ، ويوجه الكلام — على حد البلاغيين — فيأخذ منه كسرى ما يأخذ لنفسه ويدع ما يدع . والحكيم فى ذلك لم يُغلظ فى قول ، ولم يعنف فى كلام ، ولم يجهل أقدار الملوك ، ولم يخرج عن جادة الاعتدال . فكيف يقال بعد ذلك إن خطباء هذه الوفود لن يستجرئوا على مثل ما نُسب إليهم من الكلام ؟

ويقوم عمرو بن الشريد السلمى فيفتخر فى إيجاز ؛ ويهدد فى إيجاز . أما افتخاره فما كان فيه غالياً ولا مبالغاً ولا نفاجاً ولا كذاباً ولا مسخطاً لكسرى ولا متنقصاً للفرس ؛ فهو يقول عن العرب بارك الله فيهم : (إن فى أموالنا مرتفداً ؛ وعلى عزنا معتمداً ، إن أورينا ناراً أثقبنا ، وإن أودَ دهر بنا اعتدلنا . ألا إننا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك مكافحون) . لا فُضَّ فوك يا ابن الشريد ! فما عدوتَ الصدق فى كلامك ، ولا جاوزت الحد فى افتخارك . فهو يعلن هنا فى كلمته الموجزة ميثاق الصداقة مع حليفته الكبرى ... وهذا كلام لا يؤلم الحلفاء ؛ ولا يوجع الأصدقاء وترجمته فى لغة السياسة الدولية الآن أنه إذا اعتُدى على بلاد الفرس فإن الأمة العربية الحليفة ملزمة بتقديم المونة لها من المال والعتاد والرجال ...

فأين موضع الجرأة أو الكذب أو المغالاة أيها الأستاذ الجليل ، فى هذا الكلام الوفىّ الجميل ؟

***

بقى أن ذكرتَ أيها السيد العربى الكريم فى تساؤلك أن صانع خبر الوفود أو صائغه أو مختلقه أو مزوره هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشى . فقد ذكر ياقوت الرومى أن من تصانيف الزبير هذا كتاب (وفود النعمان على كسرى)

وأقول أنا : إن ياقوت الرومى ذكر ما ذكر نقلاً عن ابن النديم صاحب الفهرست الذى عاش قبله بقرابة قرنين من الزمان . ووصفه ابن النديم بقوله : كان شاعراً ، صدوقاً ، راوية ، نبيل القدر . فكيف يجوز لمن هذه أوصافه أن يضع الحديث الأدبى ويختلق الأخبار ؟ وقد كان الزبير قاضياً على مكة وتوفى وهو قاض عليها . فكيف صح فى القضاء رجل يتهمه أستاذنا الجليل اليوم بالوضع والاختلاق

وما حاجة الأستاذ الجليل أن يبنى كلامه فى اتهام الزبير بكار على الظن والفروض ما دام كتابه فى وفود النعمان على كسرى لم يصل إلينا

وفوق ذلك أن الزبير بن بكار عاش فى القرن الثالث الهجرى ومات سنة ٢٥٦هـ وفق رواية ابن النديم . فهو متأخر عن ابن القطامى والكلبى اللذين نقل عنهما ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد حكاية الوفود على كسرى . فإذا كان هناك وضع فى هذه الحكاية فأولى به أن يكون صاحبه ابن القطامى أو الكلبى وهما من رواة القرن الثانى الهجرى . أما الكلبى — سواء أكان محمداً الكلبى أم ابنه هشاما الكلبى — فلم يشتهر عنهما وضع وشهد لهما الأوائل بتقدمهما فى علم الأنساب

أما ابن القطامى فقد اشتهر عنه الكذب المقصود والاختلاق المعمود إليه ؛ مع غفلة وبلاهة وضعف فى الحكم وسقم فى الفهم وسرعة تصديق لما يسمع من غير تدبر وتفهم . ويحكون عنه فى ذلك حكاية فى الفهرست لابن النديم . ويجوز أن يكون هو الذى وضع أو صاغ حكاية وفود العرب على كسرى إن كان لا بد فى هذه الحكاية من وضع

أما رأيى أنا ... فحكاية الوفود صحيحة وليس فيها محل للانكار والاستنكار ، وهى جائزة الحدوث علماً وعقلاً ، فهى تتفق مع صراحة العرب وإبائهم وحسن قيامهم فى المواقف الضيقة وصدق حكمتهم ، والوفاء لأحلافهم ؛ ولو أن فيها بعضاً من زخرفة الرواة وتزيد أهل الأخبار .

محمد عبد الغنى حسن

في الشعر المهموس

للأستاذ حسين الظريفي

ليس من البحث في شيء أن نتناول الظاهرة في العلم أو في الأدب أو في الاجتماع ، ونغفل المصدر الذي انبعثت عنه . كشأن الحديث الذي دار وما يزال دائراً على الشعر المهموس في (الرسالة) و (الثقافة) دون أن يصل الناقد والمنقود إلى نقطة اتصال ، يتم فيها بينهما التفاهم على ما اختلفا فيه ولا يزالان على خلاف ولو أن كلا منهما اتجه بالبحث إلى تعيين مصدر هذا الشعر في أدب المهجر ، لضاقت بينهما شقة الخلاف ، ولقاما بتعليل جروح كثيرة . وما كان القول بتخلف الشعر في مصر ، أو بنفي هذا التخلف ، إلا علة السير على الهامش وترك الصميم . وهذا ما رغبني في أن أقول كلمتي لإملاء فراغ الموضوع

والواقع أن لشعر المهجر طابعاً خاصاً يعرف به . لا من حيث مبانيه ومعانيه فحسب ، ولكن من حيثية أخرى ، هي ذلك الإيقاع الذي يقرع به الأسماع ، أو مدى ذبذبته على حد التعبير العلمي . وهذا ما يحمل على استصواب تسمية هذا الشعر بالشعر المهموس ، وتخطئة نعته بشعر الحنين . لأن هذه التسمية الأخيرة ترتكن إلى انفعال الشاعر بينما تعتمد التسمية الأولى على النزعة الشعرية العامة في قطر بعينه . فالموضوع يدور على هذه الظاهرة العامة في شعر المهجر ، تاركا وراءه البحث عن كل انفعال خاص - كالحنين - لا يقوم إلا إذا قام الباعث عليه . وما يظهر إلا لحاجة ثم يختفي

وأنا أرد نزعة الهمس هذه إلى شعر الشقيقة سورية ؛ لأنها هي الأخرى تتميز بهذا الضرب من الشعر ، وإن كانت تسير فيه خلف الشعر في المهجر . ويظهر أن شعراء الشقيقة وجدوا في العالم الجديد ما غذا فيهم نزعة الهمس هذه ، فإذا هي علامته الفارقة في الشعر على اختلاف أغراضه وفنونه

ونحن نجد ظاهرة الهمس في النثر إلى جانب ظهورها في الشعر ، ثم نجدها في فنون الغناء السوري ، كما نجدها في لهجة التخاطب . فالقوة الموسيقية في الإعراب عن الخواطر والانفعالات ؛ وأعني بها ما اصطلحنا عليه بكلمة (الهمس) لا تكاد تختلف في ضروب هذه الأساليب البيانية من شعر ونثر وغناء وتخاطب

وقد أطلت التفكير في مصدر هذه الطاقة الموسيقية فلم أجده إلا في طبيعة البلاد السورية ، فإنها هي المصدر الذي صدرت عنه هذه الظاهرة وانسجمت على كافة طرق التعبير . لقد فعلت طبيعة البلاد فعلها الخاص في أعصاب هؤلاء الشعراء وتسربت منها إلى فنون القول موزوناً وغير موزون

يقابل ذلك ما ينتج من العراق من شعر ونثر ، وما يألف من ضروب الغناء ؛ فإنه يقف في الطرف الثاني من المحور ، حيث يقف على طرفه الآخر أدب المهجر . إن الأدب في العراق كالغناء فيه ، يعتمد في إيصال الشعور على قوة اللهجة ؛ فإذا كان أدب المهجر يمس شعور القارىء أو السامع برفق ولين ، فإن أدب العراق لا يمسه إلا بشدة . ويقف بين هذين أدب مصر ، فلا هو بالضعيف ولا بالعنيف

ولا محل للقول بتخلف الشعر في مصر لأن رنة الإيقاع فيه غير هادئة ؛ فالشعر لا يقاس بهذا المعيار ، وإنما ينظر في مدى ارتقائه على أنه أسلوب بيان ومجموعة خواطر . أما قوة اللهجة فيه فإنها مظهر الحالة العصبية التي كان عليها الشاعر عند بنائه بيوت الشعر . وليست هذه الحالة بجزء من الشعر لتكون جزءاً مما يقاس به مدى ارتقائه وطول بقائه ، ويحكم له أو عليه

وقد نرى الهمس والجرس في بعض قصائد الشاعر فلا يصطبغ شعره بهذا اللون ؛ لأنه وليد حالة روحية خاصة تأتلف وطبيعة الموضوع المقول فيه . ومركز الثقل فيما دار ويدور عليه الحديث على لسان الرسالة وزميلتها الثقافة ، هو ندرة ما في مصر من هذا الشعر وكثرة ما في أدب المهجر منه . تلك الظاهرة التي أرجعناها إلى طبيعة البلاد . فشاعر المهجر عاش في وسط لا ترهق فيه الأعصاب ، ومن ثم كان تصوره وتعبيره غير مرهق لأعصاب غيره . أما الشاعر في مصر أو في العراق فإنه محاط من حرارة الصيف بما يتعب الأعصاب ويبعد بها عن أن تنفعل إلا بأبلغ المؤثرات . وهو بعدى تأثره هذه مسوق إلى التهويل عند محاولة التأثير فيمن سواه . فكان كل من أدبه وغنائه يعتمد في التأثير على ارتفاع الصوت فيه وإن صم الآذان

برنارد شــــو

بمناسبة بلوغه السابعة والثمانين

في السادس والعشرين من يوليو يبلغ برنارد شو عامه السابع والثمانين

وقليل من العظماء الذين يتاح لهم أن يعيشوا ليروا أسماءهم ترتفع إلى ذروة الشهرة ، وبرنارد شو هو أحد هؤلاء الذين قدر لهم أن يلمسوا شهرتهم العالمية بأنفسهم ، فلم تلق مؤلفات كاتب منذ شكسبير إلى الآن ما لقيته مؤلفات شو من الرواج والذيوع . فمؤلفاته تطبع منها الملايين وتمثل على أعظم المسارح وتعرض على الشاشة البيضاء في جميع أنحاء العالم

ويعتبر شو أكبر كاتب وناقد اجتماعي وسياسي وديني . ويمتاز بنظرته النافذة وأسلوبه التهكمي اللاذع وقدرته على مهاجمة النظم القائمة في إقدام وجرأة

ولد جورج برنارد شو في دبلن في إيرلندا في السادس والعشرين من يوليو عام ١٨٥٦ . وكان والده سكيراً لم يصادف في عمله حظاً ولا توفيقاً

ولما كان شو الصغير في الحادية عشرة أرسله والده إلى مدرسة ابتدائية في دبلن ، فلم يظهر هو الآخر نبوغاً ولا تفوقاً ، بل كان كما قال أرشيبلد هندرسون مصدر قلق ومتاعب لمدرسيه وشغلاً لزملائه عن الدرس ، إذ كانوا يفضلون الانقطاع لسماع ما يرويه لهم من القصص على الانتباه إلى مدرسيهم

وكانت أمه - التي أخذ عنها ابنها الشيء الكثير - ذات خلق كريم وثقافة عالية ، تهوى الموسيقى ، وكان بيتها مزاراً لكبار الموسيقيين في ذلك العصر وعلى رأسهم « جورج جون ڤاندليرلي » وكانت نشأة شو في هذا الوسط سبباً في اكتسابه كثيراً من المعلومات في هذا الفن وهيأت له جواً من الجمال والخيال

ولما بلغ شو العشرين من عمره رحل إلى لندن حيث قضى الأعوام الستة التالية في عوز وفاقة ، وأوشك أن يغلب عليه اليأس ، وكاد أمله في الكتابة يتحطم إذ لم يربح من إنتاجه الأدبي طوال هذه المدة سوى جنيهات معدودة

ولما كان في السادسة والعشرين استمع إلى محاضرة ألقاها الاقتصادي الكبير هنري جورج عن الملكية الزراعية بين فيها رأيه في مشاكل العالم الاجتماعية ، وقال إن الحل الوحيد لهذه المشاكل ينحصر في جعل الأرض ملكا مشاعاً للجميع ، بينما تبقى رؤوس الأموال الأخرى في يد الأفراد . فراقت شو هذه الآراء وقرر اعتناقها ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بل تغير حين قرأ شو كتاب كارل ماركس عن الاشتراكية والرأسمالية وقد تأثر شو بهذه الآراء إلى حد جعله يقول إن كتاب كارل ماركس هو الزي الذي خلق مني رجلاً

وما حل عام ١٨٩٤ حتى كانت شهرة شو قد ذاعت ، فقد أضحى بعد هذا التاريخ كاتباً قصصياً يطلع برواياته على الجمهور مصدّرة بمقدمات تتضمن آراءه في المسائل السياسية والاجتماعية . وإذا كانت هذه المقدمات لا تتصل في الغالب بموضوع الرواية التي تتصدرها فإنها كانت لا تقل عنها قيمة إن لم تفقها

وفي عام ١٨٩٨ وهو في الثانية والأربعين من عمره ، أصيب بجرح بليغ في قدمه . وقد سهرت عليه أثناء مرضه سيدة إيرلندية ، وهيأت له جواً هادئاً مريحاً ، واختصته بالجانب الأكبر من عنايتها واهتمامها . وكانت هذه الراحة والعناية سبباً في أن يطلق شو مهنته السابقة كصحفي ويتفرغ للكتابة . ومنذ ذلك التاريخ كسب شهرته كأكبر ناقد اجتماعي وسياسي وديني ، وكأعظم كاتب قصصي

ولنعرض الآن لبعض آرائه

لم يرق شو رؤية الكثيرين يعانون متاعب الفقر في عالم غني

وأعتقد أن حالة الأعصاب هذه كانت وما تزال حائلاً دون انتشار القصة والرواية في أدب العرب ، وباعثاً إلى وضع تلك القواعد الأدبية التي تقول باختيار ما قل ودل ، وأن الإعجاز في الإيجاز

فإذا اتفقت كلمة الباحثين على أن الشعر المهموس وليد طبيعة خاصة تفعل في نفس الشاعر ، لا يبقى محل للنعي على الشعر في مصر ، أو للقول بأن الهمس فيه فن من الفنون

إن الهمس أو الجهر في الشعر أو في غير الشعر ، لا يمكن اعتباره مظهر تطور أو تأخر ، لأنه لا يدل إلا على مقدار الطاقة التي يبذلها صاحب الفن في سبيل التأثير في الآخرين

(بغداد) صبيح الغافقي

المحامي

بمواردہ وثرواته ، وحاول أن يجد لهذه المشكلة علاجاً فرأى في الاشتراكية هذا العلاج

ويقول عنه الأستاذ جود أحد أعضاء جامعة لندن في هذا الصدد : « لقد كان برنارد شو في عام ١٩١٤ القائد الذي قاد تحت لوائه إلى عهد الاشتراكية المنتظر ، كما كان اللسان الناطق بآمال من يعتنقون هذه المبادئ »

ولما بدأت الحرب الحالية أخرج شو مؤلفه « الشعور نحو الحرب » الذي حاول فيه أن يفسر الحرب تفسيراً على ضوء الاشتراكية ، ويرى أن رؤوس الأموال مكدسة في أيدي الرأسماليين الذين يستغلون بها العمال ويستعبدونهم ، فيجب أن توضع تحت رقابة الشعب .

وفي عام ١٩٢١ زار شو روسيا السوفيتية وقابل ستالين ، فلما عاد إلى انجلترا أخذ يشيد بهذا الرجل ورجال حكومته ويقول إنهم قد وفقوا لحل المشاكل التي واجهتهم

هذا طرف من آرائه السياسية . أما آراؤه الاجتماعية فتتلخص في أن ما يواجه العالم من مشاكل يرجع في الأصل إلى نظام الرأسمالية الذي يجعل الكثرة الغالبة في قبضة أفراد قلائل يتحكمون في مصيرهم . وهو لا يلقي المسؤولية على عاتق الرأسماليين وحدهم ، بل يشرك معهم العمال الذين يضعفهم انشقاقهم وافتراق كلمتهم . ولعل رواية « فوق الصخور » خير معبر عن آرائه في هذه الناحية

وفي رواية « مهنة مسز وارن » يحاول أن يصل إلى أن وزر الدعارة وحياة الرذيلة إنما يلحق هؤلاء الذين كانوا سبباً في الفاقة التي تدفع المعدمين إلى مثل هذه الحياة ، لأنهم إنما يعملون ذلك مدفوعين إليها ومرغمين عليها لكسب قوتهم . ويردد شو دائماً أن « لا جريمة إلا الفقر »

وتحمل كتابات شو كثيراً من المتناقضات ، فنراه يعترض على الغبن الذي يقع على العمال ، ولكنه في الوقت نفسه يقر هذا الغبن إن كان لمصالح الإمبراطورية البريطانية . ونراه في قضية إرلندا يقف إلى جانب بريطانيا مع أنه إرلندي النشأة ومع اعتزازه بها .

وبينما يتهم شو الإنجليز ويعيب عليهم عسفهم في مذبحة دنشواي ، نراه يعضدهم ويؤازرهم في اضطهادهم للبوير أثناء حرب جنوب إفريقيا

وبرنارد شو مقتنع بأن الكثيرين يخالفون مذاهبه وآراءه ويقفون دونها ؛ وفي هذا يقول في إحدى مقدماته : « إذا نطقت بكلمات تافهة تحت تأثير فكرة أو عاطفة سرت في صحف العالم سريان البرق ؛ أما إذا قلت خلاف ما يريد الرأسماليون كان صدى قولي صمتاً وسكوناً » .

محمد شافعي الجوهري
بكالوريوس في الصحافة

صورة من الأدب التركي

قـــبر من الأوحال

للكاتب التركي خالد ضيا

بقلم الأستاذ برهان الدين الداغستاني

قد مضى عليه الآن بضع سنوات وهو يخرج كل صباح حاملاً هذه الرسائل التي تملأ حقيبته

إنه تعب من هذه الحياة، وسئم جر ساقيه المتعبتين من كثرة المشي من إفريز إلى إفريز يتلمس الأبواب

نعم بلغ به الملل والسأم الآن حد النفور من توزيع هذه المزق من الأوراق التي تأتي من كل ركن من أركان العالم وتقتضيه الجولان من شارع إلى شارع ومن باب إلى باب

مضى عليه الآن أمد طويل وهو على حاله هذه: يحترق تحت أشعة الشمس اللافحة وتكاد أنفاسه تتقطع من حر السموم التي تقذف بالهب كأنها فيح جهنم

وفي الشتاء يتلقى ميازيب السماء التي تغسله من فرقه إلى قدمه. ويجر رجليه اللتين كاد يفتتهما البرد وسط الأوحال

إنه كره التسكع في أزقة هـذه المدينة العظيمة التي لا حصر لها. كما كره منظر حقيبته التي لا تفارق جنبه. نعم إنه سئم السير آلاف الخطوات كل يوم ليوصل الأخبار إلى هذا وذاك

سنين!... إن سلسلة أيام هذه السنين الطويلة الخالية من الإنصاف قد مرت عليه وهي تنزل به الضربة تلو الضربة في كل يوم. وتحطم آماله وتهدم صرح أمانيه وتدفنها في الرغام. مسكين! إنه لا يكاد يجد بعض الراحة والهدوء لأعصابه المحطمة في ظلمة الليل حتى تقول له الشمس التي تشرق في مطلع كل نهار: «إنك اليوم أيضاً – كما كنت أمس وكما كنت في كل الأيام الخالية – موزع بريد وستبقى كذلك ما دمت حيًّا»

آه من هذه الحياة المريرة التي حكم عليه أن يقضيها متسكعاً الساعات الطوال ليجد شخصاً من الأشخاص، يبحث عن أرقام المنازل تارة، ويسأل أصحاب الدكاكين والحوانيت عن اسمه تارة أخرى. ويسير بخطوات مضطربة في منحنيات هذه الشوارع والأسواق التي لا نهاية لها

ها هو ذا قد ثارت ثورته على الحياة وانفجر بركان نقمته من جراء هذا المطر الغزير الذي لا يرحم، والذي ألصق أثوابه المبللة بعظامه ونفذ من حذائه الممزق إلى جواربه

إنه لم ير حاجة إلى الاحتماء في مكان ما ولم يحاول الهرب من هذا المطر المنهمر وكأنه يريد مطاردته – حتى يخفف بعض أذاه عنه. بل جلس على حافة أحد تلك الحوانيت المغلقة وأخذ يتأمل هذه الطبيعة الثائرة. هذا الشارع الذي يخيل لناظره – من هول المطر وشدته – أنه أمام نهر من أنهار جهنم إبان فيضانه. هذه الأوحال التي تغلي وتقذف بحباب أسود من شدة وقع قطرات المطر. وبينما هو في تأملاته رأى أولئك الذين يسيرون في سكون ودعة مستظلين بمظلاتهم من غير أن تلوث الأوحال أرجلهم، ولا أن تبلل الأمطار أثوابهم. ثم رأى تلك السيارات التي تشق الأوحال وتسير مندفعة كالسيل. لا جرم أن المطر لم يكن له أثر بالنسبة إلى هؤلاء وأولئك. إن أصحاب هذه المظلات وإن أرباب هذه السيارات هم أصحاب هذه الرسائل التي تملأ حقيبته. من يكون هو وما قيمته ومقداره بين هؤلاء وأولئك في وسط هذه الحياة الصاخبة؟ هل جاء إلى هـذه الدنيا لمجرد حمل رسائل هؤلاء السادة وتبليغها إليهم؟

إنه لم يعد ينظر إلى الشارع وما فيه، بل حول نظره إلى قطرات الماء التي كانت تتساقط حوله من أطراف ملابسه الممزقة، وإلى حذائه الذي يخيل لرائيه أنه ينتحب تحت نقاب من الطين!...

آه من هذه الرسائل! هذه الأشياء التي تأتي من أي إنسان وتذهب إلى أي إنسان!...

كان المسكين في حاجة ملحة إلى رسالة من هذه الرسائل، لأنه لم يتلق رسـالة خاصة مدة حياته كلها، بل كان مكلفاً

رسائل الآخرين فقط . كان وحيداً لا أهل له ولا أقرباء فأنى له بكتاب يأتيه أو ينتظره ؟

وكان كلما فتح هذه الحقيبة التي تملأ كل يوم وتفرغ أو أقفلها أرسل من أعماق قلبه آهة حزينة طويلة . كان يتحسر على هــذه الأشياء التي تمر بين يديه كل يوم من سنين طويلة ويتحرق شوقاً إليها . ماذا كان يحصل لو أن أحد هذه الرسائل — في الفينة بعد الفينة — كان باسمه وله خاصة ؟ لا جرم كانت تــكون نوعاً من التسلية تخفف بعض أعباء الحياة عن كاهله

ماذا في هذه الرسائل ، وما هي الأسرار التي تخفيها في طياتها ؟ إنه يعرف سيدة تنتظره دائماً في مدخل منزلها في زقاق بعيد طويل ، لأنها كانت تتلقى رسائل من ولدها

ويعرف فتاة في كلية الطب تأخذ كل أسبوع ثلاث . أو أربع رسائل دفعة واحدة . وكان يراها دائماً تسارع إلى غلاف ارجواني وتقضه دون بقية الرسائل ويداها ترتعشان .

وعلى مر الأيام ألف هــذه الرسائل وكسب شيئاً من المرانة من طول التكرار وكثرة الممارسة ، فأخذ يفهم أسرارها ومحتوياتها المختلفة ، فكان يعرف مضامينها من خطوطها تارة ومن أسماء أصحابها تارة أخرى . من ألوان أغلفتها والروائح المنبعثة من أوراقها المعطرة في بعض الأحيان

نعم بدأ يعرف هؤلاء الذين يتبادلون الرسائل فيما بينهم ، أولئك الآباء والأبناء والأزواج والزوجات

وهؤلاء الشبان من الفتيان والفتيات الذين يتبادلون عواطف الحب ويتساقون أكؤس العشق والغرام

نعم أخذ يفهم أولئك الذين يمرون أمامه بمظلاتهم وسياراتهم من غير أن يكونوا مثقلين مثله بحقائب مملوءة برسائل الآخرين . . .

كان يفهم كل هؤلاء السادة أصحاب هذه الرسائل اللعينة وكان في نفس الوقت يشعر شعوراً قوياً بأنه الوحيد الذي لاحظ له من نعيم ولا نصيب من راحة وسط هذا العالم الصاخب وبين هؤلاء السادة المترفين المنعمين

كان بائساً حقاً . فلم يكن له أن ينتظر وصول رسالة باسمه من أحد في يوم من الأيام

وعند ما وصل إلى هذا الحد من تأملاته وخواطره كان المطر لا يزال يتساقط بشدة فوق طربوشــه المبلل وتنحدر قطراته إلى وجنتيه فتملك هذا الموزع المسكين البائس هذا القلب الحزين . هذا الذي فقد كل أمل في الحياة تملكه شعور قوي من اليأس العميق والألم المبرح والحزن الشديد . وتمنى لو يستطيع اقتلاع هذه الحقيبة التي تحفظ رسائل الآخرين من على عنقه وقذفها في الهواء . هــذه الحقيبة الملقة برقبته بسلسلة لا تطاق كأنها — لثقلها — تريد أن تجتذب رأسه إلى أسفل حتى تلصقه بالأرض

إنه يتمنى أن يدوس هذه الحقيبة برجليه حتى تتمزق إرباً إرباً وتنسحق سحقاً ! . . .

وبعد ذلك يرجو — ليناال بعض الراحة — أن ينغمس في هذه الأوحال التي تنشق كالقبر ثم تلتئم كلما خاضها خائض .

نعم هنا وفي هذه الأوحال يريد أن يمد رقبته تحت عجلات السيارات ويموت

يريد أن يُدفن في هذه الأوحال

إنه يتمنى قبراً من الأوحال

برهان الدين الداغستاني

نهـــاية موسولينى

للأستاذ على محمود طه

نبأ فى لحظة أو لحظتـين   طاف بالدنيا وهز المشرقين
نبأ ، لو كان همسَ الشفتين   منذ عام ، قيل إرجافٌ ومَيْن !
وتراه أمـــة بالضفتـين   إنه كان جنين « العلمين »
موسلينى ! أين أنت اليوم ؟ أين ؟
حـلم ؟ أم قصـة ؟ أم بين بين ؟

قَبْرُ « فينسيا » إليكَ اليوم يُهدِى
لعنةَ « الشرفة »[1] فى قربٍ وبُعْـدِ
عجباً ! يا أيهـذا المتحدِّى   كيف ساموك سقوطَ المتردِّى
إمبراطورك فى هَمٍّ وسُهدِ   صائحاً فى ليلِهِ لو كان يُجْدِى :
أين يا « فاروسُ[2] » ولَّيتَ بجُندى ؟
أين ولَّيْتَ بسلطانى ومجـــدى ؟

أعتزلت الحـكم ؟ أم كان فراراً   بعد أن ألقيتَ حولَيْكَ الدمارا
سـقت للمجزرةِ الزغب الصغارا
بعد أن أفنيت فى الحرب الـكبارا
يا لهم فى حومة الموت حيارى   ذهبوا قتلى وجرحى وأسارى
يملأون الجو فى الركض غبارا   وقبوراً ملأوا وجه الصحارَى

أعلى « الصومال » أم « أديس ابابا »
ترفع الراية ، أم تبنى القبـــــــابا
أم على « النيل » ضفافاً وعبابا   لمحت عيناك للمجـد سرابا
فدفعت الجيش أعلاماً عجابا   ما لهذا الجيش فى الصحراء ذابا ؟
بخرته الشمسُ فارتد سحابا   حين ظن النصر من عينيه قابا

(١) شرفة قصر البندقية التى كان يلقى فيها موسولينى خطبه الحربية
(٢) قائد جيوش الامبراطور الرومانى أغسطوس ذهب على رأس جحافل جرارة من الرومانيين لمحاربة الجرمانيين فى العام التاسع من الميلاد . فوقع فى كمين وأبيدت جيوشه الثلاثة الجرارة عن آخرها ، واستولى على الامبراطور حزن شديد ، فكان ينهض من نومه مذعوراً وهو يصيح : فاروس ! فاروس أين جيوشى ! أين ذهبت بجيوشى يا فاروس . . !

يا أبا « القمصان » جمعاً وفرادى   أحَمَت قمصانك السود البلادا ؟
لِمَ آثرت من اللون السوادا ؟   لونها كان على الشعب حدادا !
جئت بالأزياء تمثيلاً معادا   أى شعب عز بالزى وسادا
إنه الروح شـبوباً واتقـادا   لا اصطناعاً بل يقينا واعتقادا

موسلينى قف على أبواب روما   وتأملها طلولاً . ورســوما
قف تذكرها على الأمس نجوما   وتَنَظَّرْها على اليوم رجوما
أضرمت حولك فى الأرض التخوما
تقتفى شـــيطانك الفظ الغشوما
أو كانت تلك « روما » أم « سدوما »[1]
يوم ذاقت بخطـــاياك الجحيما ؟

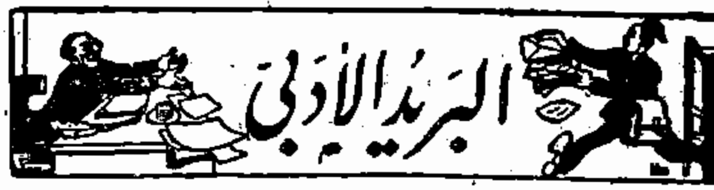
هى ذاقت من يد الله انتقاما   لِأثام خالد . عامًا فعاما
يوم صبت فوق بيروت[2] الحماما   لم تذر شيخا ولم ترحم غلاما
من سفين يملأ البحر ضراما !   ذلك الأسطول كم ثار احتداما
أين راح اليوم ؟ هل رام السلاما ؟   أم على الشاطئ أغفى ثم ناما ؟

أى عـدوان زرى المظهر   بدم قانٍ ودمع مُهْـدَرِ
حين طافت بحمى (الإسكندر)   أجنح من طيرك المستنفِر
تنشر الموت بليـل مقمر !   يا لمصر ! أترى لم تثـأر
بيـــد المنتقم المستكبر ؟   أترى تذكر ؟ أم لم تذكر ؟ !

موسلينى لست من أمس بعيدا
فاذكر « المختار » والشعب الشهيدا
هو روح يملأ الشرق نشيدا   ويناديك ولا يألو وعيـدا
موسلينى خذ بكفيك الحديدا   وصغ القيد لساقيك عتيدا
أو فضع منك على النصل وريدا   فدمى يخنقك اليوم طريدا

على محمود طه

(١) قصة تدمير سدوم وعمورة من القصص الدينى المأثور . إذ سلط الله عليها الرجم النارية عقاباً لما اقترفه أهلها من الآثام
(٢) المأساة الدامية التى مثلها الأسطول الايطالى فى الحرب العثمانية الايطالية



القصة والتجديد

أردت أن أبعث الفعل (خرّف) الذي اشتقه الإمام ابن حزم من (الخرافة) أي الأسطورة أو ممن انتسبت إليه أعني المسمى (خرافة) فقلت فيما قلت:[1]

« إن هذا الزمان وكتاب القصة الخرفين فيه في حاجة إلى التخريف » وإنما عنيت الحُدّاث[2] (الذين يحكون، يقصون) واحتياجهم إلى هذا الفعل. ولقد خشيت أن يُظن أني أحقر في هذه الجلة (القصة) وأنتقص كتابها، وإني أنكر (تجديداً) في الأدب. فليعلم أني لا أمقت القصة بلينة مرصنة، لا أمقتها ولا أكره التجديد مجوداً. فمن قص وجدد وأحكم وأفاد وهدى وجوّد تقبلت العربية قصصه، ورضى الناقدون عن تجديده. ولم أستحدث في هذا الوقت في هذا الباب لي مقالة، فمذهبي (في المجدّد المجود، في التجديد مع التجويد[3]) اليوم هو مذهبي في الأمس. وفي خطبتين أو رسالتين قديمتين كلام واضح مفصل، والحق لا يتحوّل، الحق مثل ذي الخلق المتين وذي العقيدة ـ لا يتبدل.

إلى الأستاذ دريني خشبة

سيدي: قرأت مقالكم العظيم المنصب في بحثه على المذهب « التعبيري » في ألمانيا، ولقد راعني أيها الفاضل أنكم تكررون لفظة « التعبيريين » في مقالكم كترجمة للفظ الإنجليزي Expressionists واللفظة الإنجليزية جمع لإسم الفاعل من الفعل Express، واسم الفاعل في اللغة الإنجليزية يصاغ بطريقتين: الأولى: من الفعل بزيادة ing في آخر الفعل؛ والثانية: من الإسم بزيادة ist والأولى مطردة، والثانية سماعية، قياسية في بعض الأسماء، وعلى هذا فالترجمة الصحيحة للجمع Expressionists هي: « المعبرون — المتكلمون » لا كلمة « التعبيرين — الكلاميين »، لأن كلمة « تعبيري » كلاميّ منسوبة إلى كلمة « تعبير Expression » والمنسوب كما تعلمون في القاعدة العامة، ما لحق آخره ياء مشددة مكسور ما قبلها للدلالة على نسبته إلى المجرد منها للتوضيح أو التخصيص، « والمُعَبِّر ـ المتكلم Expressionist » اسم فاعل من العبارة Expression بزيادة ists في المثنى والجمع.

عبد الله الملحوب

أغلاط في كتاب الإمتاع والمؤانسة

كنت أطالع الجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » فعنّت لي بعض ملاحظات أذكر طرفاً منها فيما يلي:

١ — جاء في ص ١١٧ س١٧: « ... ومثل هذا كثير، وهو كاف في موضع التكنية »، ويقول المصححان للكتاب إن « التكنية » كانت في الأصل « التبكيت » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى فلذلك غيّراه إلى « التكنية ». ولكن الواقع أن عبارة الأصل هي الصواب، لأن التبكيت هو أن يغلب الإنسان خصمه بالحجة، ومن العبارات الجارية قولهم: « بكّته حتى أسكته ». وفضلاً عن هذا فقد وردت هذه الكلمة بعد ذلك بقليل في كتاب الإمتاع ص ١١٩ س١٥

٢ — جاء في ص ١٤٩ س٦: « .. أعني أن كل ما يدور عليه ويحور إليه مقابل بالضد »، وفي الأصل « يجوز عليه » فرفض الناشران رواية الأصل، ولكن الصواب أن تُثبَت؛ لأن كلام التوحيدي في هذا الصدد ينصب على الفلسفة الخلقية ولذلك فقد استعمل فيه تعبيرات فلسفية. ومن الشائع في الفلسفة قولهم يجوز عليه التغيّر، أو لا يجوز عليه التغيّر. (أنظر « الانتصار » للخياط (مثلاً) ص ١٦٢ س ١٨، ص ١٧٠ س٥ الخ)

٣ — وفي ص ١٥٥ س ٧: « وللرأي والعقل فيهما مدخل قوي وحظ تام » ويقول المصححان الفاضلان إن « العقل » هي في الأصل « العقد »، ونقول إن « العقد » صحيحة، وهي

(١) الرسالة ٥٢٤

(٢) فضلت (الحداث) على (المحدثين) وهو جمع على غير قياس حتى لا تقع في ورطة جديدة فاضطر أن أكتب كلمة ثانية

(٣) مفهوم أن المقصود هنا هو التجويد في الكتابة لا التجويد في القراءة، فن التجويد

من الكلمات المستعملة فى الفلسفة الإسلامية ، فلا موجب لرفضها ... يقول ابن سينا فى إلهيات « الشفاء » : إن الحق يفهم منه الوجود فى الأعيان مطلقاً ، ويفهم منه الوجود الدائم ، ويفهم منه حال القول أو العقد . ومعنى العقد فى عبارة ابن سينا الاعتقاد أو التصديق ، وأظن أن الاعتقاد (أو العقيدة كما تقول أحياناً) من الألفاظ التى يمكن أن توضع إلى جوار لفظ « الرأى » (كما فعل الأستاذ أحمد أمين نفسه فى مقاله الرأى والعقيدة بكتابه فيض الخاطر ج ١)

٤ — وفى ص ١٥٩ س ٣ : « وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابراً ... يضبط ويحتد » ، ويقول المصححان الفاضلان إن يحتد أصلها يحقد ، وتقول إن الأصل هو الصواب وإنهما أخطآ فى التصحيح : لأن المراد أن الإنسان إذا غلب عليه مزاج « اليبوسة » فإنه فى هذه الحالة يضبط نفسه ويكظم غيظه أو حقده (دون أن يحتد أو يظهر غضبه)

٥ — وفى ص ٢١٩ س ٣ : « لذلك عرفت الحكمة فى الكائنات الفاشيات » ويقول المصححان إن « الفاشيات » هى فى الأصل « الفاسدات » وتقول إن عبارة الأصل هى الصواب : (أنظر ص ٢٢٠ س ١٢) ، والفاشيات هنا لا معنى لها

هذه هى بعض الملاحظات التى عنت لى أثناء قراءتى للجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ، وكلها تندرج تحت ضرب واحد من ضروب التصويب هو العودة إلى رواية النص إذ لا موجب لرفضها والتحكم فى لغة الكاتب الأصلى . أما الملاحظات الأخرى التى طويتها عن القراء فهى أدخل فى باب الذوق والاجتهاد ، وليس هذا مجالها

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)